

٢٠١

أخرج الكثيرون علب السجائر . أمسكوها في يد ، وفي اليد الأخرى عيدان ثقاب غير مشتعلة ، بهذه الكلمات تنتهي القصة مصورة مبلغ ما حل بهم من اليأس والعجز .

ان كل ما لديهم من حيوية قد أنفقوه في العملية النفسية المصاحبة للانتظار المرهق ، لو بقي من هذه الحيوية فضل لأعلنوا به سخطهم على سائق «الاتوبيس» الذي تعمد أن يطفئ أنواره أمام المحطة ، وينطلق ثم لا يضيء الأنوار إلا بعد ان اجتازهم .

التوازن الدرامي إذن متحقق بين البداية المثيرة للشوق والنهاية الباعثة على التأمل ..

والتأمل هو الغاية التي يهدف اليها كل فن ناضج واع ملتزم .. والتأمل عملية فكرية وشعورية ، قد يقوم بها المرء في « حرية » في حالات كثيرة ، ولكنها في أعقاب الفراغ من استيعاب عمل فني تكون « حرية مشروطة .. مشروطة بالحدود والقيود والرموز التي يتضمنها العمل الفني .. ومع ذلك فهي حرية .

فالتأمل لهذا التوازن بين التشوق الطاعني المقيم ، واليأس الشامل المقعد يسهه أن يتخذ هذا تفسيراً نفسياً استبطانياً للحركات الكبرى في التاريخ .. - أو - أقصد تلك الحركات التي تبدو كبرى ذات بريق واعد حتى لتظل الجماهير ترقبها في تشوف ولكنه تشوف لا يسفر عن صباح ، لأن هذه الحركات تمر بالجماهير فلا تحقق لها وعداً ، وكل ما تفعله وما أشنه - انها تستهلك طاقة الجماهير من طريق عمليتي الشحن والتفريغ . ووجه « الحرية » في هذا التأمل أن القارئ يسهه أن يفسر « الاتوبيس » بما يشاء من حركات التاريخ السياسية والاجتماعية التي تعد الجماهير بأن تحملها إلى غايات بعيدة ، والتي تمكنها من مشاهدة « معجزة » ثم تخلف الوعد وتخيب الأمل .

أما القيد الذي يجد من تطرف هذه الحرية فهو نوعية هذا المجتمع الذي رجا